

الإسراف

إعداد

العتبة العلوية المقدسة

قسم الشؤون الدينية

شعبة التبليغ



أسم الكتاب : الإِصراف

إعداد : شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الناشر : العتبة العلوية المقدسة

المراجعة : شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الطبعة : الثانية المزيدة والمنقحة

سنة الطبع : ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

قياس : ١٧ × ١٢

عدد الصفحات : ٦٤

عدد النسخ : ١٠٠٠٠

الموقع الإلكتروني : www.imamali.net

البريد الإلكتروني : tableegh@imamali.net

موبايل : ٠٧٧٠٠٥٥٤١٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة أسبوع التوبة للسنة الثانية:

في البدء كانت فكرة ثم جرّت إلى حوار وهذا الحوار تبلور إلى برنامج عمل نسعى من خلاله إلى تثقيف المجتمع وحثهم على التوبة من الذنوب وكذلك التركيز على كبائر الذنوب التي تنهش جسد المجتمع الإسلامي وتسبب له ممارسات خاطئة على مستوى الفرد أو المجتمع ومن ثم تتراكم هذه الذنوب فتكون حجاباً عن الحق - والعياذ بالله - أو مدعاة للقنوط من رحمة الله تعالى.

نعم هكذا كانت البداية بسيطة ولكنها صادقة، ثم توالى الخطوات لتتميم العمل ولكن لم يكن الفريق المكلف به كبيراً في عدده، ولكنه كان كبيراً في إخلاصه وتفانيه، وكبيراً في أمله وطموحه.

بدأنا نواصل العمل بشكل دؤوب راجين خائفين، راجين الله أن ينجح عملنا بأن ننجز ما أردناه أولاً، وأن يحقق ما أملنا فيه ثانياً، وخائفين من ضيق

الوقت وعدم مخالفة التوفيق لأن يكون هذا العمل حياً شاخصاً للأبصار، فكنا نتوسل بصاحب المقام عليه السلام، بأن يسدد خطانا وينجح عملنا.

ولكن الله تعالى لم يتركنا وحننا بل أكرمنا بألطفه وأفاض علينا من بركاته ما جعل هذا العمل الصغير مادياً كبيراً في نفوس الناس، وله أثر كبير أيضاً على مستوى النتائج المتوخاة منه، فكم من شخص اتصل بنا يثني على الجهود المبذولة في هذا الإطار ذاكراً حادثه وقعت قريباً منه رجع فيها شخص إلى رشده وأثر فيه هذا الكتاب أو ذاك أثراً طيباً بعد قراءته.

فحمد الله تعالى أن أكرمنا بالهداية ووقفنا لخدمة دينه والمؤمنين من عباده ونشكره على نعمائه ونسأله التوفيق في هذا الطريق، وأن يعيننا في تطوير هذا العمل وغيره لما فيه خير الدنيا والآخرة.

على أننا لم ندخر وسعاً في مراجعة ما كتب في العام السابق لتمحيصه وتعديله ما يحتاج إلى تعديل أو الإضافة على ما نراه قاصراً كماً وكيفاً في أداء المطلوب

وكذلك حاولنا إضافة عناوين أخرى في هذا المجال، لتتكمّل شيئاً فشيئاً مكتبة أسبوع التوبة، وتضم في ثناياها كل ما يحتاجه الإنسان في هذا المجال، فأضفنا هذه السنة مجموعة من العناوين الجديدة كالربا والرياء وقذف المحصنات والتعرب بعد الهجرة، وقتل النفس المحترمة، واللّهو... إلى غير ذلك من العناوين، ثم ارتأينا إضافة بعض الاستفتاءات التي تخص كل كتاب تمييزاً للفائدة وتعميقاً لثقافة الحكم الشرعي.

وأخيراً حاولنا أن نضيف ما يرغّب القارئ أكثر في قراءة هذه السلسلة، ويثير فيه الفضول نحوها، فأدرجنا في نهاية كل كتاب مسابقة حول مضامين ما ورد فيه، لتطوّر العمل في هذا الاتجاه والوصول به إلى ما يحقق الهدف منه.

أخذ الله بأيدينا لما فيه الخير والصلاح وجعل عملنا
خالصاً لوجهه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى
الله بقلب سليم.

شعبة التبليغ

١٥ / ج ٢ / ١٤٣٥

مقدمة أسبوع النوبة للسنة الأولى:

إن الممارس للعمل التبليغي الديني وفي مجال الأحكام الشرعية بالخصوص يرى أن هناك شريحة كبيرة من المجتمع تعتبر معرفة الأحكام الشرعية مجرد ثقافة ليس إلا ولا يعينها أمر تطبيقها، وهناك من يعلم بوجود التطبيق ولكنه لا يهتم بذلك إلا بمقدار الحديث عنها ثم بعد ذلك يرجع إلى حالته الأولى من الإهمال أو التسويف، وهكذا فالنماذج متعددة والصور مؤلمة.

ونحن إذا أردنا أن نتعمق في نفسية المجتمع - أيّ مجتمع في الوقت الحاضر - ونسبر غوره لنطلع على أسباب هذا العزوف في تعلم الأحكام الشرعية ومن ثم تطبيقها أو لا أقل البرود العام من هذه الجهة، نجد أهم عامل في ذلك هو كثرة الذنوب التي تكبل الإنسان عن التحرك نحو الله تعالى وتقعده به عن واجبه التكاملي، ففي الحديث عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: (إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء فإن تاب اضمحلت وإن زاد زادت حتى

تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً^(١).

وزيادة الذنوب له أسباب موضوعية كثيرة منها اجتماعية لسنا - فعلاً - بصدد الحديث عنها أو معالجتها جذرياً لأن قسماً كبيراً منها يتعلق بالجوانب الاجتماعية العامة للبلد في الفترات السابقة وكثير منها ليس بمقدورنا.

ولكن هذا لا يعني عدم إمكانية معالجة الأسباب الفردية وذلك بإحياء أمر مهم في نفوس الناس يبعث فيهم الحياة من جديد ذلك أن الإنسان إذا أذنب ومارس الذنوب لمدة من الزمن يقسو قلبه ويتطبع على ارتكاب الذنوب هذا من جانب.

ومن جانب آخر شيئاً فشيئاً يموت في قلبه الأمل من رحمة الله ويدب في قلبه القنوط عن شموله بالمغفرة من الذنب.

(١) وسائل الشريعة: ج ١٥، باب الصلاة ح ١٢.

وهذا الإنسان بهذه النفسية لا يتقبل الحكم الشرعي - بعد أن يجد نفسه غارقاً بالذنوب - ولا يتفاعل معه التفاعل الايجابي.

لذا نرى ومن منطلق حل المشاكل النفسية للمجتمع والتي تصب في مصلحة التبليغ الديني أن يخصص أسبوع في السنة قبل شهر رمضان. يكرس هذا الأسبوع لبحث مسألة التوبة من جميع جوانبها وعلى جميع الأصعدة من إذاعة وصحافة وإعلانات ومحاضرات دينية في العتبة وفي المساجد والحسينيات، بحيث يدرك الإنسان المؤمن أن الباب ما زال مفتوحاً للرجوع إلى حظيرة القدس وغسل روحه بماء التوبة ليجدد العهد مع الله ويعود إلى حياة الإيمان فتفتح روحه لتقبل أحكامه من جديد.

شعبة التبليغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإسراف

معنى الإسراف وأنواعه

الإسراف بمعنى تجاوز الحد والزيادة عليه، وذلك إما من جهة الكمية كما لو صرف المال في شراء عدد أكثر مما يحتاجه من الملابس مثلاً بأن كان يحتاج إلى خمسة قطع من الملابس فاشترى عشرة، كما في صرف المال في موضع غير مناسب شرعاً أو عقلاً حتى لو كان المال بمقدار درهم واحد، أو من جهة الكيفية، كما في صرف المال لشراء شيء بصفة أزيد مما يحتاجه بأن اشترى سيارة مثلاً بمواصفات أزيد مما يحتاجه. صرف المال في موضع مناسب لكن بأكثر مما يستحق، مثل أن يشتري لباساً بقيمة خمسمائة دينار ويلبسه والحال أن اللباس الذي يناسبه ويليق بحاله يساوي مائة دينار.

وقال بعض: إن صرف المال في غير موضعه المناسب

يسمى تبذيراً، وصرف المال بأكثر مما يستحق المورد
يسمى إسرافاً ولكن قد يعبر عن كل منها بالآخر أيضاً
فيستعمل الإسراف للمعنيين والتبذير كذلك.

عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: (للمسرف ثلاث علامات:
يأكل ما ليس له، ويلبس ما ليس له، ويشترى ما ليس
له) ^(١).

الإسراف في القرآن

١- يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْرِفِينَ﴾ ^(٢). فقد عبّر الله تعالى عن يزيد في الأكل
والشرب بأنه مسرف.

٢- ويقول تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ، وَآتُوا حَقَّهُ
يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ^(٣).
وهنا يصف الله تعالى من لا يؤدي الحقوق الشرعية
بأنه مسرف.

٣- ويقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ

(١) بحار الأنوار: ج ٢٧، ص ٤٠٣.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٣.

(٣) سورة الأنعام: آية ١٤١.

مُرتاب ﴿١﴾. في هذه الآية يبين الله تعالى أن الاعتقادات الباطلة أيضاً يوصف صاحبها بأنه مسرف، وذلك لأن الإسراف إفراط، وصاحب الاعتقاد الباطل قد أفرط في تفكيره حتى ابتعد عن الصراط السوي.

٤- وقال تعالى في نفس السورة: ﴿وإن المسرفين هم أصحاب النار﴾ ﴿٢﴾. وهنا يعطي الله تعالى معنى أعمق للإسراف يجعله صفة لأهل النار.

٥- وقال تعالى: ﴿ولا تُبذر تبذيراً، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ ﴿٣﴾. وهنا يبين تعالى أن المبذر من صنف الشياطين بمعنى أنه في فعله مطيع لهم، ونتيجته الكفران سواء في ذلك كفران النعم وهو الجحود أو إنكار وجود الله تعالى وذلك بسبب التعدي على أحكام الله.

(١) سورة غافر: آية ٤٣.

(٢) سورة غافر: آية ٣٤.

(٣) سورة الإسراء: آية ٦٢-٧٢.

الإسراف في الروايات

١- جاء عن رسول الله ﷺ ضمن حديث المناهي: (ومن بنى بنياناً رياءً وسمعةً حمله يوم القيامة من الأرض السابعة وهو نار تشتعل ثم يطوق في عنقه ويلقى في النار فلا يجسه شيء منها دون قعرها إلا أن يتوب.

قيل: يا رسول الله ﷺ كيف يبني رياءً وسمعةً؟

قال ﷺ يبني فضلاً على ما يكفيه استطالة منه على جيرانه، ومباهاة لإخوانه^(١). فنجد هنا أن الفاعل قد أنفق ماله في أزيد مما يحتاجه فهو أمر محرم وأضاف إلى هذا الفعل المحرم فعلاً آخر وهو كون الدافع إلى هذا الفعل المحرم هو التباهي والتفاضل على إخوانه وهو محرم آخر فلذا زاد فعله قبحاً وعقوبة.

٢- عن أمير المؤمنين عليه السلام: (إن الله إذا أراد بعبد خيراً ألهمه الاقتصاد وحسن التدبير وجنبه سوء التدبير والإسراف)^(٢). فما يقابل الإسراف هو الاقتصاد وهو

(١) بحار الأنوار: ج ٣٧، ص ٩٤١.

(٢) مستدرک الوسائل: ج ٥١، ص ٦٦٢.

من نعم الله تعالى على عباده الذين يريد بهم الخير لما فيه من حسن العاقبة بعكس مقابله فانه يورث سوء العاقبة والعذاب الأليم.

٣- كتب الإمام علي عليه السلام كتاباً لزياد في ذم الإسراف جاء فيه: (فدع الإسراف مقتصدًا، واذكر في اليوم غداً، وامسك عن المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك، أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين، وتطمع، وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة، أن يوجب لك ثواب المتصدقين؟ وإنما المرء مجزي بما أسلف وقادم على ما قدم^(١)). وهنا يبين أمير المؤمنين عليه السلام مجموعة أمور مهمة تساعد على الإقلاع عن الإسراف بشكل عملي أو علمي، فالجانب العلمي الذي يمنع الإسراف هو أن يمتنع عن إنفاق المال في غير محله أو زائداً عن حاجته عن طريق الاحتياط في الإنفاق والتحسب لما سيأتي من الأيام إذ قد تمر عليه ظروف تحتاج إلى المال

(١) نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام: صبحي الصالح، ص ٧٧٣.

فيما يأتي من عمره فلا بد له من الاحتياط في الإنفاق، هذا درس عملي يمنع من الإسراف وقد يكون المراد بـ (غداً) إشارة إلى دار الآخرة فيكون تمهيداً لما سيأتي من الفقرات في قوله ﷺ: «وقدم الفضل ليوم حاجتك... على ما سيأتي شرحه».

وقد أعطى الأمير ﷺ درساً في علاج هذا المرض من أحسن الدروس إذ حوّل هذه الصفة الذميمة إلى صفة حسنة بأن حوّل اهتمام الشخص المبذر من التهادي في لذاته وشهواته المالية إلى التفكير في آخرته، فلو لم يستطع عدم الإنفاق فلينفق المال فيما ينفع به يوم القيامة وذلك بأن يتصدق به على المستحقين فيكون هذا الإنفاق مذخوراً له ولا يعد إتلافاً للمال وتضييعاً له في الدنيا. وكم من حكمة ومعنى عميق في هذا الدرس الأخلاقي الكبير من أمير المؤمنين ﷺ كيف لا وهو معلم الإسلام الثاني بعد النبي الأكرم ﷺ.

٤- قال أبو عبد الله الصادق ﷺ: «إن مع الإسراف قلة

البركة^(١). والإمام عليه السلام يشير إلى قانون طبيعي في الحياة فالمسرف لا تبقى في أمواله البركة لأنه ينفق ماله بغير حكمة وفي غير احتياج

٥- عن سليمان بن صالح قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: أدنى ما يجيء من حد الإسراف؟ فقال: (إبذالك^(٢) ثوب صونك، وإهراقك فضل إنائك، وأكلك التمر ورميك النوى ههنا وههنا)^(٣). وهنا الإمام ينبه إلى أن الإسراف لا يفرق فيه القليل والكثير فأدنى ما يحصل من إتلاف المال فهو إسراف أيضاً.

٦- قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: (أربعة لا يستجاب لهم، أحدهم كان له مال فأفسده فيقول: يا رب ارزقني فيقول الله عز وجل: ألم آمرك بالاعتقاد)^(٤). وهذا أيضاً من الأمور الواضحة فمن يفرط بالنعمة لا يحصل عليها بعد ذلك وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام

(١) الكافي: ج ٤، ص ٥٥.

(٢) ابتذال الثوب: لبسه في أوقات الشغل والخدمة.

(٣) الكافي: ج ٤، ص ٦٥.

(٤) المصدر السابق.

ولقلماً أدبرت نعمة فأقبلت.

٧- وقال ﷺ: (حَلَّوْا أَنْفُسَكُمْ بِالْعَفَافِ، وَتَجَنَّبُوا التَّبْذِيرَ

وَالْإِسْرَافَ)^(١). فالتبذير والإسراف - بعكس ما يتوقع

الشخص - لا يزين الإنسان وإنما زينة الإنسان

بالعفاف وهذا من بديع الكلام فهنا يعبر الإمام

على أن المسرف غير مقدر في الحالين لا في حال

اليُسْر والإنفاق لان إنفاقه ليس على موازين الإنفاق

الصحيحة، ولا في حال الفقر لان فقره جاء نتيجة

تصرفاته المتهورة فهو غير مرحوم إذ العذر الذي

يصدر من الإنسان بسوء اختياره لا يعد عذراً عند

العرف.

٨- وقال ﷺ: (ذَرِ السَّرْفَ، فَانَ الْمَسْرِفَ لَا يَحْمَدُ جُودَهُ،

وَلَا يَرْحَمُ فَقْرَهُ)^(٢).

٩- وقال ﷺ: (سَبَبُ الْفَقْرِ الْإِسْرَافُ)^(٣)، وهذا من

أوضح الأمور التي لا تحتاج إلى بيان.

(١) مستدرك الوسائل: ج ٥١، ص ٦٦٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ج ٥١، ص ٦٦٢.

(٣) المصدر السابق.

١٠ - وقال ﷺ: (من أشرف الشرف، الكف عن التبذير والسرف)^(١)، وهذا الكلام على روعته البيانية يراد منه أن يغير أفكار الناس التي تنظم إلى الإنفاق غير المدروس على أنه محل افتخار وإن الاقتصاد بخل فالإمام يريد أن يصحح المفاهيم ويبين أن الاقتصاد شرف.

١١ - وقال ﷺ: (ويح المسرف، ما أبعدته عن صلاح نفسه، واستدراك أمره!)^(٢).

ومما سبق يتضح أن المسرف لا يصلح نفسه لافي الدنيا لفرض أنه ينفق ماله بما لا نفع فيه، ولا في الآخرة لأن عمله غير مأجور عليه بل ماثوم فيه.

الإسراف يخلف باختلاف الطوارد

يجب أن يعلم أن الإسراف يختلف باعتبار الأشخاص من حيث الشأن والشرف والصحة والمرض والفتوة والشيخوخة، ومن حيث الغنى والفقر وزيادة العلاقات

(١) مستدرك الوسائل: ج ٥١، ص ٦٦٢.

(٢) المصدر السابق.

وقلّتها، ذلك أنه قد لا يكون إسرافاً صرف المبلغ الفلاني لشراء ملابس بالنسبة لشخص صاحب مقام وشخصية وعلاقات في المجتمع، بينما يكون إسرافاً بالنسبة لشخص آخر. روى الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (رُبَّ فقير هو أسرف من الغني، إن الغني ينفق مما أوتي، والفقير ينفق من غير ما أوتي)^(١).

بناء على ذلك فإن أكثر التكلّف في الوسائل الحياتية والمعيشية - والمبتلى به أكثر الناس - من دون ملاحظة الشأن الاجتماعي للفرد ومستوى دخله المعيشي والتورط غالباً بالقروض والهموم، إن أكثر هذا التكلّف هو إسراف، وسببه أن كل واحد ينظر لمن أعلى منه ويريد أن يصبح مثله لا أقل منه، وبالتالي يتورط بالإسراف، ويكون دائماً في الشدة، والصعوبة والانزعاج، وعدم الرضا، والهم، في حين أنه لو نظر لمن هو دونه - حسب منهج الشرع - في الأمور الدنيوية، وقنع بما عنده ولم يطمع بالمزيد لم يُتَلَّ أبداً بالإسراف والقلق والاضطراب، على ذلك فإن أكثر

(١) الكافي: ج٤، ص ٥٥.

حالات الإحباط والانكسار تتبع من الإسراف، بحيث لو أن الشخص عمل بقرار الشارع، وحكم الفطرة والعقل السليم، وترك هذا الذنب الكبير، وفي جميع حالاته راعى الاقتصاد والاعتدال، وكانت القناعة هي دليله، لنال بذلك سعادة الدنيا والآخرة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (لا يذوق المرء من حقيقة الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال: الفقه في الدين، والصبر على المصائب، وحسن التدبير في المعاش)^(١)، والأخير هو ضد الإسراف فحسن التدبير في المعاش ينفي الإسراف.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر)^(٢). لأنه لا ينفق المال إلا في مكانه المناسب من غير زيادة فسيفضل لديه على هذا الأساس مال يكفي في باقي حوائجه، وفي هذا الحديث الشريف إشارة إلى قاعدة مهمة نشير إليها بشكل مختصر وهي أن الله تعالى قد كفل لكل إنسان في الحياة رزقه وهو أمر أشارت إليه الكثير

(١) سفينة البحار: ج ٨، ص ٩٢٥.

(٢) الكافي: ج ٤، ص ٣٥.

من الآيات والروايات، ولكن الإنسان في بعض الأحيان بسوء تصرفه يقل رزقه ويضيق حاله فتراه مهموماً مكدوراً حزيناً كثيراً ولو التفت إلى خطئه وأنه السبب في سوء حاله لأصلح شأنه ورجع إلى اليسر بعد الإعسار، وهذه القاعدة مصاديق كثير، فمن يتسبب في قلة ماله إما مرتكب للذنوب التي توجب قلة المال، أو متكاسل عن العمل الذي يؤدي به إلى الحصول على الرزق إذ أن الله تعالى أبى إلا أن تجري الأمور بأسبابها وكذلك من الموارد التي هي أمثلة لهذه القاعدة هو المسرف فالمسرف يتسبب بسوء تصرفه إلى الافتقار فلولا إنفاقه للمال الذي عنده بشكل غير صحيح لما افتقر وكان ما قدره الله تعالى له من المال بقدر حاجته الفعلية، ولذا جاء في هذا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: (ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر).

وعن الإمام الباقر عليه السلام انه قال: (وأما المنجيات فخوف الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، وكلمة

العدل في الرضا والسخط)^(١). فالقصد سلوك شخصي ليس له علاقة بوجود المال وعدمه بل هو نابع من دين الشخص فلا يتغير بحسب حالة الشخص المادية.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (ومن قنع بالمقسوم استراح من الهم والكد والتعب)^(٢). فالحديث يبين أن القناعة تنفي تعب القلب في التفكير بالحصول على ما لا يقدر على تحصيله، فلو قنع استراح أولاً من الهم من التفكير بذلك وثانياً استراح من الكد والعمل الزائد لتحصيل ما لا يقدر عليه فيجهد نفسه ويتعبها في غير طاعة الله. وهذا هو حال أكثر الناس في الوقت الحاضر للأسف.

وضمناً يجب أن نشير إلى الملاحظة التالية: إن قولنا بأن صرف مبلغ كذا من المال هو إسراف بالنسبة للفقير وليس إسرافاً بالنسبة للغني، قد يدعو هذا القول للاشتباه وتخيل أنه لا مانع للغني من صرف أي مبلغ وفي أي طريق، فيجوز له صرف المال في الملذات والأهواء،

(١) سفينة البحار: ج ١، ص ٤٣.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٥٤.

بتخيل أنه ثري فذلك لا يعتبر إسرافاً منه .

فهذا ليس صحيحاً بل الصحيح أن حكمه أشد، وتكليفه أكبر من الفقير، وذلك:

أولاً: إن صرف المال فيما زاد على حاجته من المسكن، واللباس، والفرش، واللوازم الحياتية، والمعيشة اليومية، وفيما زاد على ما يليق بشأنه في تلك الأمور حرام عليه، كما هو حرام على الفقير.

وثانياً: إن ما زاد على نفقاته اللازمة والمناسبة لشأنه لا يحق له خزنه، بل يجب إخراج الخمس منه و صرفه في موارد المعينة، كما يجب إخراج زكاته إذا كان مورداً لتعلق الزكاة، وإذا كان لديه أرحام وأقرباء فقراء فإنه يجب عليه مساعدتهم بنحو تحفظ به صلة الرحم، مثلاً إذا كان رحمه الفقير بحاجة إلى رأسمال وجب عليه دفعه إليه، وإذا كان هذا الفقير مديناً وجب عليه أن يؤدي دينه، وإذا كان مريضاً وجب عليه توفير الدواء له ووسائل سلامته، بل يجب عليه إغاثة كل مسلم مضطر ومحتاج يستطيع مساعدته، وإذا لم يعمل بهذه التكاليف كان ممن قال فيهم

الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُجْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾^(١)^(٢).

وكما إن الإسراف يختلف باختلاف الأشخاص فكذلك يختلف باختلاف الأزمان، فربما لا يكون صرف مبلغ معين في معيشة شخص إسرافاً في الأحوال الطبيعية، ولكن صرف نفس ذلك المبلغ في سنة القحط والفقر العام يكون إسرافاً لنفس ذلك الشخص، إذ يستطيع أن يعيش بأقل من ذلك المقدار ويعطي ما زاد للآخرين. وهكذا بالنسبة إلى اللباس، فقد ورد فيمن اعترض على الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: يا أبا عبد الله إنك من أهل بيت النبوة وكان أبوك وكان، فما هذه الثياب المزينة عليك؟.

فقال عليه السلام في جواب هؤلاء المعترضين: (أخبرك أن رسول

(١) سورة التوبة: آية ٤٣-٥٣.

(٢) الذنوب الكبيرة: ج ٢، ص ٣٠١-٨٠١.

الله كان في زمان مقفر جذب، فأما إذا أقبلت الدنيا فأحق أهلها بها أبرارها لا فجارها)^(١) وفي رواية أخرى قال ﷺ: (كان علي ﷺ في زمان يستقيم له ما لبس فيه، ولو لبست مثل ذلك اللباس في زماننا لقال الناس: هذا مرء)^(٢).

وفي رواية أخرى أنه ﷺ اجتذب يد المعترض فجرّها إليه، ثم رفع الثوب الأعلى وأخرج ثوبا تحت ذلك على جلده غليظاً، فقال: هذا لبسته لنفسه غليظاً، وما رأيته للناس.

الإسراف حرام دائماً

لأن الإسراف مرتبطٌ بمختلف جوانب الحياة المادية والمعنوية؛ فإن له صوراً عديدة وأشكالاً مختلفة، الأمر الذي يترتب عليه الكثير من المفاسد الدينية والدينية التي تُدمر المجتمعات، وتقضي على الأخلاق، وتعبث بالاقتصاد، وتؤدي إلى الكثير من المضار والآثار السيئة التي من أعظمها أن الله تعالى لا يُحب المسرفين، وأن

(١) وسائل الشيعة: ج ٥، ص ٩١.

(٢) المصدر السابق.

الإسراف مسلكٌ خاطئٌ، وتصرف غير سوي. أما صور الإسراف فكثيرةٌ جداً إذ أن منها ما يكون على مستوى الفرد، ومنها ما يكون على مستوى المجتمع، فهناك مَنْ يُسرف في استخدام الماء واستعماله، لاسيما الماء الصالح للشرب فيهدره في ريِّ المزروعات وغسل السيارات، أو يبالغ في استخدامه منزلياً سواء كان ذلك في المطابخ أو دورات المياه ونحو ذلك، بل نجد في الروايات أن هذا أمر مذموم حتى لو كان في أعمال عبادية كالوضوء والغسل، قال رسول الله ﷺ: (في الوضوء إسراف، وفي كل شيء إسراف) (١).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: (إن الله ملكا يكتب سرف الوضوء كما يكتب عدوانه) (٢).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: (كان رسول الله ﷺ يتوضأ بمُد ويغتسل بصاع) (٣).

(١) كنز العمال: ج ٩، ص ٣٢٥.

(٢) الكافي: ج ٣، ص ٢٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١، ص ٤٨١.

وهناك من يسرف في تناول أصناف الأطعمة الشهية،
وألوان المشروبات المختلفة، دون مراعاة لما ينتج عن
ذلك من مخالفة لتعاليم الدين وتوجيهاته التي قال فيها
عز وجل: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْرِفِينَ﴾^(١). إضافة إلى ما في ذلك من إضاعة للمال في
غير وجه حق، وإضرار بالصحة التي تختل وتضطرب
جراء ذلك الإسراف.

كما أن هناك من يسرف في شراء الملابس واقتنائها بطريقة
أو بأخرى، غير مبال بما ينفقه في ذلك من أموال تضيع
فيما لا فائدة فيه ولا نفع منه.

ثم إنه يجب أن يُعلم أن ثلاثة أقسام من الإسراف هي
حرام في جميع الحالات، والأزمنة، والأمكنة، ولكل
الأشخاص.

الأول: تضييع المال وإتلافه مهما كان قليلا، مثل رمي نواة
التمر في وقت يمكن الاستفادة منها، أو إراقة المتبقي من
الماء في الإناء في حال قلة الماء بحيث يمكن رفع الحاجة

(١) سورة الأعراف: آية ١٣.

بذلك المقدار كما تقدم ذكر ذلك في الأحاديث السابقة، أو إتلاف الثوب القابل للاستفادة منه، أو عدم الاعتناء به، أو خزن الطعام وعدم دفعه للغير حتى يتلف، ومثل إشعال المصباح مع وجود ضوء الشمس، ومثل إعطاء المال للسفيه أو الصغير الذي لا يعرف قدره فيتلفه، وأمثال ذلك.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه نظر إلى فاكهة قد رميت من داره لم يستقص أكلها فغضب وقال: (ما هذا، إن كنتم شعبتم فإن كثيراً من الناس لم يشبعوا فأطعموه مَنْ يحتاج إليه)^(١).

وأما بالنسبة إلى إلقاء باقي الطعام خصوصاً فئات الخبز، فقد وردت روايات كثيرة لسانها لسان التهديد - إلا إذا كان ذلك في الصحراء لأجل الحيوانات - يطول الكلام بذكرها ولكننا نذكر نموذجاً منها:

قال رسول الله ﷺ: (بارك لنا في الخبز ولا تفرق بيننا وبينه

(١) المستدرک: ج ١٦، ص ٢٨٧.

فلولا الخبز ما صلينا ولا صمنا ولا أدينا فرائض ربنا^(١).
وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كلوا ما يسقط من الخوان فإنه شفاء من كل داء بإذن الله عز وجل لمن أراد أن يستشفى به^(٢).
وعن منصور بن العباس، عن الحسن بن معاوية بن وهب، عن أبيه قال: (أكلنا عند أبي عبد الله عليه السلام فلما رفع الخوان لقط ما وقع منه فأكله ثم قال لنا: إنه ينفي الفقر ويكثر الولد)^(٣).

وعن عمرو بن جميع قال: قال رسول الله ﷺ: (من وجد كسرة فأكلها كانت له حسنة، ومن وجدها في قدر فغسلها ثم رفعها كانت له سبعون حسنة)^(٤).

وعن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (دخل رسول الله ٩ على عائشة فرأى كسرة كاد أن يطأها فأخذها فأكلها ثم قال: يا حميراء أكرمي جوار نعم الله عز وجل

(١) الكافي: ج ٥، ص ٧٣.

(٢) الكافي: ج ٦، ص ٣٠٠.

(٣) الكافي: ج ٦، ص ٣٠٠.

(٤) المصدر السابق.

عليك، فإنها لم تنفر من قوم فكادت تعود إليهم^(١).
 عن محمد بن الوليد الكرمانى قال: (أكلت بين يدي أبي
 جعفر الثاني عليه السلام حتى إذا فرغت ورفعت الخوان ذهب
 الغلام يرفع ما وقع من فتات الطعام فقال له: ما كان
 في الصحراء فدعه ولو فخذ شاة وما كان في البيت فتبعه
 والقطه)^(٢).

وروي أن الناس في زمن النبي دانيال نتيجة دعائه عليه السلام
 عليهم، لعدم احترامهم للخبز وإلقاءهم إياه تحت
 الأرجل - أصيبوا بالقحط حتى وصل بهم الأمر إلى أن
 يأكل بعضهم الآخر^(٣).

روي عن الإمام الحسين عليه السلام: (أنه دخل المستراح فوجد
 لقمة ملقاة فدفعها إلى غلام له وقال يا غلام ذكرني
 بهذه اللقمة إذا خرجت، فأكلها الغلام، فلما خرج
 الحسين بن علي عليهما السلام قال يا غلام اللقمة! قال: أكلتها

(١) الكافي: ج ٦، ص ٣٠٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٤، ص ٣٧٦.

(٣) وستأتي الرواية المتعلقة بذلك في آخر الكتاب.

يا مولاي قال أنت حر لوجه الله، فقال رجل اعتقته؟ قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول من وجد لقمة ملقاة فمسح منها أو غسل ما عليها ثم أكلها لم يستقر في جوفه إلا أعتقه الله من النار^(١). ومن هذا القبيل لبس الملابس الفاخرة المعدة لحفظ الحرمة والكرامة في مكان يجعلها في معرض الضياع، كما تقدم ذكر ذلك في حديث سابق عن الإمام الصادق عليه السلام.

الثاني: صرف المال فيما يضر البدن من المأكل والمشرب، مثل الأكل بعد الشبع فإنه مضر، بخلاف صرف المال في نفع البدن وصلاحه فإنه ليس إسرافاً، روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: (... ليس فيما أصلح البدن إسراف...)^(٢).

الثالث: صرف المال في المحرمات شرعاً مثل شراء الخمر، وآلات القمار، واستئجار الفاحشة والمغنية، ودفع الرشوة للحاكم، وصرف المال في أمر يجر إلى الظلم، وأمثال ذلك،

(١) وسائل الشيعة: ج ١، ص ١٦٣.

(٢) الكافي: ج ٤، ص ٤٥.

وفي مثل هذه الموارد توجد معصيتان: الأولى حرمة أصل العمل والأخرى هي الإسراف وصرف المال فيها^(١).

الإسراف في العقائد والأعمال

ما ذكر راجع للإسراف في المال، ولكن حيث إن الإسراف في اللغة معناه تجاوز الحد فهو متصور إذن في الأمور الاعتقادية، وهكذا في تمام أعمال الإنسان.

فالإسراف في العقيدة هو أن يعتقد بنفسه أو غيره ما لا صحة له، وما لا يليق الاعتقاد به، مثل اعتقاد فرعون بربوبيته حيث قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾^(٢)، وعدّه الله تعالى من المسرفين حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٣).

وكذلك إذا لم يعتقد بما ينبغي الاعتقاد به كالاعتقاد بالله، والنبوة، والإمامة، والمعاد وغير ذلك، كما يقول تعالى في القرآن المجيد: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ

(١) الذنوب الكبيرة: ج ٢، ص ١١٠.

(٢) سورة القصص: آية ٨٣.

(٣) سورة يونس: آية ٣٨.

ربه ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى ﴿١﴾.

وأما الإسراف في الأعمال فهو أن يأتي بما لا ينبغي الإتيان به، أو يترك ما ينبغي الإتيان به، كما عدّ الله تعالى قوم لوط الذين يرتكبون عمل اللواط القبيح مسرفين، حيث قال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ (٢).

حيث يضعون البذور في غير محل زراعتها.

بل إن أي ذنب فعلي أو قولي يصدر من الإنسان هو إسراف، وكل مذنب مسرف كما يقول تعالى في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (٣). ومن صور الإسراف التي تتعلق بالعمل أن البعض قد يسرف في السهر الطويل أو النوم الكثير مخالفاً بذلك سنن الله تعالى في الكون، ومُتغافلاً عن مضار ذلك التصرف الخاطيء الذي يوهن الجسم،

(١) سورة طه: آية ٧٢١.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٨.

(٣) سورة الزمر: آية ٣٥.

ويُرهق التفكير، ويُربك بعض وظائف الجسم العضوية، ويؤثر على حالته النفسية في الغالب.

وهناك من يسرف في القيل والقال، فلا يتوانى عن نقل الكلام وإشاعته بين الناس سواءً كان ذلك صحيحاً أو غير صحيح، مباحاً أو غير مُباح، والأدهى من ذلك أن ينقله دون التحقق من صحته، أو الزيادة عليه ونحو ذلك مما نهت عنه تعاليم ديننا الحنيف.

وهناك من يُسرف في الاهتمام بالكماليات في وقتٍ يُهمَل معه القيام بالضروريات وأداء الحقوق والواجبات التي هي أولى بالاهتمام وأجدر بالأداء.

وهكذا... تتعدد صور الإسراف وأشكاله وأنماطه التي علينا جميعاً الحذر منها والحرص على اجتنابها وعدم الوقوع فيها لما يترتب عليها من نتائج مؤسفة ومضار عظيمة.

وينبغي للمؤمن أن يحاول ترك الإسراف حتى في الأمور المباحة، من النوم أو اليقظة، أو الكلام، أو الطعام، كما ورد في الحديث الشريف: (أفضلكم منزلة عند الله أطولكم

جوعاً وتفكيراً وأبغضكم إلى الله تعالى كل نؤوم أكل
شروب^(١). وبنحو عام عليه أن يجهد في أن لا يتجاوز الحد
في أي عمل من أعماله.^(٢)

أسباب الإسراف

ولما كان الإسراف من الذنوب الكبيرة التي يستحق عليها
العذاب فلا بد من الإقلاع عنها وهو لا يحصل إلا بعد
معرفة الأسباب التي تؤدي إليه حتى يتلافها الإنسان
ومن جملة الأسباب التي تؤدي إلى الإسراف:

١ - جهل المسرف بتعاليم الدين الذي ينهى عن الإسراف
بشئى صورته، فعاقبة المسرف في الدنيا الحسرة والندامة:
﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(٣)، وفي الآخرة العقاب
الأيلم والعذاب الشديد: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا
أَصْحَابُ الشَّمَالِ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٌّ مِّنْ يَّحْمُومٍ *

(١) مفتاح السعادة: ج٧، ص ٣١٤.

(٢) الذنوب الكبيرة: ج٢، ص ٨١١.

(٣) سورة الإسراء: آية ٩٢.

لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ* إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿١﴾،
والترف صورة من صور الإسراف.

٢- التربية الخاطئة: فقد ينشأ الإنسان في أسرة اعتادت على الإسراف والبذخ، فما يكون منه سوى الاقتداء والتأسي بهم، وهذه من المآسي التي تمارسها الأسر في حق أبنائها إذ تربيها تربية خاطئة من دون وعي بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقها من جهة، وخطر التعود على الأساليب الخاطئة من المعيشة التي يتربى عليها الإنسان فينشأ أنساناً مخطئاً في باقي حياته، إلا أن يلتفت ويحاول تصحيح مساره وهو يحتاج إلى جهد وإرادة وبعد ذلك توفيق من الله تعالى.

٣- السعة بعد الضيق: ذلك أن كثيراً من الناس قد يعيشون في ضيق، أو حرمان، أو شدة، أو عسر، فتجدهم صابرين محتسبين، وقد يحدث أن تتبدل الأحوال، فتكون السعة بعد الضيق، أو اليسر بعد العسر، وحينئذ يصعب على هذا الصنف من الناس التوسط أو الاعتدال؛

فينقلب على النقيض تماماً، فيكون مسرفاً مبذراً.

٤ - صحبة المسرفين: فالإنسان غالباً ما يتخلق بأخلاق صاحبه، لاسيما إذا طالت هذه الصحبة، وكان هذا صاحب قوي الشخصية، شديد التأثير، وبذلك ندرك السر في تأكيد الإسلام، وتشديده على ضرورة انتقاء صاحب أو الخليل، المتخلق بالأخلاق الفاضلة والدين الصحيح.

٥ - حب الظهور والتباهي: وقد يكون الإسراف سببه حب الشهرة والتباهي أمام الناس رياء وسمعة والتعالي عليهم، فيظهر لهم أنه سخي وجواد، فينال ثناءهم ومدحهم، لذا تراه ينفق أمواله في كل حين وبأي حال، ولا يهمنه أنه أضاعها وارتكب ما حرم الله.

٦ - المحاكاة والتقليد: وقد يكون سبب الإسراف محاكاة الغير وتقليدهم حتى لا يوصف بالبخل، باعتبار أن الناس بسبب ابتعادهم عن التعاليم الدينية يسرفون في تقييم الواقع الديني فيرفعون بعض الأحكام المستحبة - بل الآداب والأمور الموهومة - إلى مستوى

أكبر الواجبات، ويستتهنون ببعض الواجبات إلى حد جعلها مثل أصغر المستحبات، لذا ومن هذا المنطلق ترى الناس يستهينون بذنب الإسراف بل يعدونه أمراً ممدوحاً مع أنه من الكبائر ويغضون البخل مع أنه مجرد صفة مذمومة وليس ذنباً، نعم هو يجر إلى مجموعة من الذنوب كحبس الحقوق ونحوها، فلأجل إظهار الصفة الممدوحة والابتعاد عن الصفة المذمومة - في نظر العرف - تراه ينفق أمواله كيفما كان من غير تبصر أو نظر في العاقبة التي سينتهي إليها، وبخاصة إذا نظرنا إلى العالم الغربي والشرقي البعيد عن أحكام الإسلام وكيف أنه يسرف كثيراً في تصرفاته وأحواله كلها.

٧- الزوج والولد: فقد يُبتلى الإنسان بزواج أو ولد، دأبهم ودينتهم الإسراف، وقد لا يكون حازماً معهم، فيؤثرون عليه، وبمرور الأيام، وطول المعاشرة، ينقلب مسرفاً مع المسرفين، ولعلنا بذلك نفهم بعض الأسرار التي قصد إليها الإسلام حين أكد ضرورة انتقاء واختيار الزوجة، وعلى ضرورة الاهتمام بتربية الولد.

٨- الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا وما هي عليه: الدنيا لا تثبت ولا تستقر على حال واحدة، بل هي متقلبة متغيرة والواجب يقتضي أن نكون منها على وجل وحذر، نضع النعمة في موضعها، وندخر ما يفيض عن حاجتنا الضرورية اليوم من مال، وصحة، ووقت إلى الغد أو بعبارة أخرى: ندخر من يوم إقبالها ليوم إدارها، كما تقدم عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (واذكر في اليوم غداً) على بعض الوجوه المتقدمة.

٩- التهاون مع النفس: فالنفس البشرية تنقاد وتخضع، ويسلس قيادها بالشدة والحزم، وتتمرد وتتطلع إلى الشهوات، وتلح في الانغماس فيها بالتهاون واللين، وعليه: فإن الإنسان إذا تهاون مع نفسه، ولبى كل مطالبها؛ أوقعته لا محالة في المهالك ومن ضمنها الإسراف.

١٠- الغفلة عن شدائد وأحوال يوم القيامة: فيوم القيامة فيه من الشدائد والأحوال، ما ينعقد اللسان بسببها، وتعجز الكلمات عن الوصف والتصوير، ومن ظل متذكراً ذلك، متدبراً فيه؛ قضى حياته غير ناعم بشيء في

هذه الحياة الدنيا، أما من غفل عن ذلك، فإنه يصاب بطول الأمل الذي يقوده بدوره إلى كل مصيبة في الدنيا، ومن ضمنها الإسراف والترف، بل ربما إلى ما هو أبعد من ذلك.

١١- نسيان الواقع الذي تعيشه البشرية عموماً، والمسلمون على وجه الخصوص: فقسم كبير من البشرية اليوم يقف على حافة الهاوية، وكثير من المسلمين قد صاروا إلى حال يرثى لها من الفقر والفاقة والذل والهوان؛ في حين أن البعض الآخر يتقلب في النعيم، فذاك يموت من الجوع وهذا يموت من التخمّة، فإن من ينسى هذا الواقع يمكن أن يصاب بالترف والإسراف والركون إلى زهرة الدنيا وزينتها. وقد ورد عن النبي ﷺ: (من أصبح لايهتم بأموار المسلمين فليس بمسلم)^(١).

١٢- الغفلة عن الآثار المترتبة على الإسراف: فإن للإسراف آثاراً ضارة، وعواقب مهلكة، فالإنسان الحكيم - الذي ينطلق في تفكيره من مقتضى الحكمة

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٦٣.

والعقل - ما يفعل الشيء أو يتركه، إذا كان على ذكر من آثاره وعواقبه، أما إذا غفل عن هذه الآثار؛ فإن سلوكه يختل، وأفعاله تضطرب، فيقع فيما لا ينبغي، ويهمل أو يترك ما ينبغي، وعليه فإن الإنسان إذا غفل عن الآثار المترتبة على الإسراف، يكون عرضة للوقوع فيه.

آثار الإسراف

وبعد أن اطلعنا على أسباب الإسراف لا بد أن نطلع على آثاره الفاسدة في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة، ليكون هذا من جملة المقدمات التي ينبغي معرفتها قبل الوصول إلى مرحلة العلاج، وهنا نعرض جملة من آثار الإسراف:

١ - علة البدن: فالبدن محكوم بطائفة من السنن والقوانين الإلهية، بحيث إذا تجاوزها الإنسان بالزيادة أو بالنقص؛ تطرقت إليه العلة، وحين تتطرق إليه العلة، فإنها تقعد بالإنسان عن القيام بالواجبات، والمسؤوليات الملقاة على عاتقه، أو المنوطة به.

٢ - قسوة القلب: فقسوة القلب لها أسباب مختلفة ومن

ضمنها الانغماس في الشهوات والملذات، فإن القلب يرق ويلين بالجوع، أو بقلّة الغذاء، ويقسو ويجمد بالشبع، أو بكثرة الغذاء، وحين يقسو القلب، أو يجمد؛ فإن صاحبه ينقطع عن البر والطاعات، وحتى لو جاهد الإنسان نفسه، وقام بالبر والطاعات؛ فإنه لا يجد لها لذة ولا حلاوة، بل لا يجني من ورائها سوى النَّصَب والتعب.

٣- خمول الفكر: فخمول الفكر مرتبط بعدة عوامل، والبطنة أحدها، فإذا خلت البطن؛ نشط الفكر، وإذا امتلأت؛ اعتراه الخمول، حتى قالوا قديماً: «إذا امتلأت البطنة نامت الفطنة». فإذا أصيب الفكر بالخمول يفقد أخص الخصائص التي تميزه عن باقي المخلوقات.

٤- تحريك دواعي الشر والإثم: فإن الإسراف يولد في النفس طاقة ضخمة، ووجود هذه الطاقة من شأنه أن يحرك الغرائز الساكنة أو الكامنة في هذه النفس، وحينئذ لا يؤمن على المسلم الوقوع في الإثم والمعصية - إلا من رحم الله - ولعل ذلك هو السر في تأكيد الإسلام على الصوم لمن لم يكن قادراً على النكاح.

٥- الانهيار في ساعات المحن والشدائد: فالمسرف قضى حياته في الاسترخاء والترف، فلم يَألف المحن والشدائد، ومثل هذا إذا وقع في شدة أو محنة؛ لا يلقى من الله أدنى عون أو تأييد، فيضعف وينهار، لأن الله عز وجل لا يعين ولا يؤيد إلا من جاهد نفسه، وكان صادقاً مخلصاً في هذه المجاهدة، بالإضافة إلى أنه لم يعود نفسه أو يروضها على الخشونة والشدة.

٦- عدم الرعاية أو الاهتمام بالآخرين: فالإنسان لا يراعى الآخرين، ولا يهتم بهم - غالباً- إلا إذا أضناه التعب، وأعيته الحاجة، كما أثير عن النبي يوسف عليه السلام: أنه لما صار على خزائن الأرض، ما كان يشيع أبداً، فلما سئل عن ذلك؛ قال: (أخاف إن شبعت أن أنسى الجياع). والمسرف مغمور بالنعمة من كل جانب، فأنى له أن يفكر أو يهتم بالآخرين!

٧- المسألة غداً بين يدي الله: كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(١). فيوم القيامة يُسأل العبد

عن كل ما يرد إليه من أموال وكل ما يكسبه في حياته من أعمال فلو كان حراماً فهو معرض للعقاب ولو كان مشتبهاً فهو معرض للعقاب ولو كان حلالاً فهو لا يخلو من أصل الحساب، وهو ليس بالأمر اليسير كما يُظن فكل زمن يمر على الإنسان في الحساب فهو من جملة العذابات التي يشملها الموقف يوم القيامة، بما يصحبه من خوف ورهبة من حساب الله تعالى للعبد، فعن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام: (... واعلم أن في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب، فأنزل الدنيا منزلة الميتة وخذ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر فأخذت كما أخذت من الميتة، وإن كان العقاب فإن العقاب يسير...) ^(١).

٨- الوقوع تحت وطأة الكسب الحرام: ذلك أن المسرف قد تضيق به، أو تنتهي موارده فيضطر تلبيةً لشهوته وحفاظاً على حياة الترف والنعيم التي ألفها إلى الوقوع

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٩٣١.

في الكسب الحرام، إذ يستنكف من أن يراه الناس بحال أخرى غير حالته فيتوسل إلى ذلك بكل وسيلة.

٩- أخوة الشياطين: كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^(١)، وأخوة الشياطين تعني: الصيرورة منهم والانضمام إلى حزبهم، وإن ذلك هو الخسران المبين والضلال البعيد.

١٠- الحرمان من محبة الله: كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٢).

وماذا يصنع من حرم محبة الله؟! إنه يعيش في قلق واضطراب، وألم نفسي، وإن أحاطت به الدنيا من كل جانب.

الطريف لعلاج الإسراف

١- التفكير في الآثار والعواقب المترتبة على الإسراف: فإن ذلك من شأنه أن يجعل على تدارك الأمر، والتخلص

(١) سورة الإسراء: آية ٧٢.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٣.

من الإسراف، قبل فوات الأوان، وقد تقدمت جملة من هذه الآثار.

٢- الحزم مع النفس: وذلك بفظمها عن شهواتها ومطالبها، وعدم التهاون بذلك أو التسويف في العلاج فإن المبادرة في فعل الخير مندوبة.

٣- دوام النظر في روايات النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين وسيرتهم: فإنها مليئة بالتحذير من الإسراف.

٤- الاعتبار بسيرة سلف هذه الأمة، من الصحابة المجاهدين، والعلماء العاملين، فقد اقتدى هؤلاء بالنبي وآله (صلوات الله عليهم)؛ فكان عيشهم كفافاً، ولا هم لهم من الدنيا إلا أنها معبر أو قنطرة توصل للآخرة، فالإنسان حينما يقف على أخبارهم يتحرك من داخله، فيتولد عنده حب السير على نفس منهجهم، فتراه يطرح الترف والسرف، ويعيش على الخشونة والتقشف، ليكون ناجياً مع الناجين. ففي الحديث: (اخشوشنوا فإن الترف

يزيل النعم، أو فإن النعم لا تدوم^(١).

٥- الانقطاع عن صحبة المسرفين مع الارتقاء في أحضان ذوي الهمم العالية والنفوس الكبيرة الذين طرحوا الدنيا وراء ظهورهم، فإن ذلك من شأنه أن يقضي على مظاهر السرف والدعة والراحة، بل ويجنبنا الوقوع فيها مرة أخرى.

٦- دوام التفكير في الواقع الذي تعيشه البشرية عموماً، والمسلمون على وجه الخصوص: فإن ذلك يساعد في التخلص من كل مظاهر الإسراف، بل ويحول دون التلذذ أو التمتع بشيء من هذه الحياة.

٧- دوام التفكير في الموت، وما بعده من شدائد وأهوال: فإن ذلك أيضاً يعين على نبذ كل مظاهر الإسراف والترف، ويحول دون الوقوع فيها مرة أخرى، استعداداً لساعة الرحيل ويوم اللقاء.

(١) سنن أبي داود ج ٢ هامش ص ١٨٢.

قصص عن الإسراف

وصية املك لابنه:

خلف جبال الهمالايا تختبأ ولاية صغيرة وكان يحكمها رجل غني كبير السن ذو خبرة ووقار، ولكن المرض كان قد أنهكه وأحس بقرب نهايته وقد كان للحاكم ولد وحيد شاب في سن الطيش والمراهقة، وذات يوم أمر الحاكم ابنه بالحضور وقال له يا بني: إني أحس بقرب نهايتي وسأوصيك بوصية وهي: إن ضاقت بك الحال يوماً ما وكرهت العيش فاذهب إلى المغارة المظلمة خلف القصر وستجد بها حبلاً مربوطاً إلى السقف اشنق نفسك فيه لترتاح من الدنيا وما كاد الحاكم ينتهي من الوصية حتى أغمض عينيه ومات، أما الوارث الوحيد للثروة فقد أخذ يبعثرها ويسرف ويبدد على ملذات العيش وعلى رفقاء السوء التي طالما حذره أبوه منهم وبعد برهة من الزمن وجد الابن نفسه وقد نفدت تلك الثروة الهائلة، وتغير الحال، وتركه أصحابه الذين كانوا يصاحبونه لأجل

المال فقط حتى أن أقربهم من قلبه سخر منه وقال لن أقرضك شيئاً وأنت من أنفق ثروته وليس أنا.

لم يجد الشاب ملاذاً وما عاد العيش يطيب له بعد العز فهو مدلل متعود على ترف الحياة ولا يستطيع أن يتأقلم مع الوضع المتدني الذي وصل إليه، فما كان منه إلا أن تذكر وصية أبيه الحاكم وقال: آه يا أبتاه سأذهب إلى المغارة وأشوق نفسي كما أوصيتني.

وبالفعل دخل المغارة المخيفة والمظلمة ووجد الجبل متديلاً من الأعلى فما كان منه إلا أن سالت من عينه دمعة أخيرة ولف الجبل على رقبتة ثم دفع بنفسه في الهواء، فهل مات؟ هل انقضى كل شيء؟ هل هي النهاية اليائسة أم أن الحال مختلف؟ نعم فما إن تدلى من الجبل حتى انهالت عليه النقود من السقف ورنين الذهب المتساقط من الأعلى يضج بالمغارة وقد سقط هو إلى الأرض وسقطت بجانبه ورقه كتبها له أبوه الحاكم يقول فيها: يا بني قد علمت الآن كم هي الدنيا مليئة بالأمل عندما تنفض

الغبار عن عينيك وتدع رفقاء السوء، وهذه نصف ثروتي كنت قد خبأتها لك فعُد إلى رشدك واترك الإسراف واترك رفقاء السوء.

قوم النبي دانيال عليه السلام :

فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: (أكرموا الخبز فإنه قد عمل فيه ما بين العرش إلى الأرض وما فيها من كثير من خلقه، ثم قال لمن حوله: ألا أخبركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله فداك الآباء والأمهات، فقال: إنه كان نبي فيمن كان قبلكم يقال له: دانيال وإنه أعطى صاحب معبر رغيفاً لكي يعبر به فرمى صاحب المعبر بالرغيف، وقال: ما أصنع بالخبز هذا الخبز عندنا قد يداس بالأرجل فلما رأى ذلك منه دانيال رفع يده إلى السماء ثم قال: اللهم أكرم الخبز فقد رأيت يا رب ما صنع هذا العبد وما قال، قال: فأوحى الله عز وجل إلى السماء أن تجبس الغيث وأوحى إلى الأرض أن كوني طبقاً كالفخار، قال: فلم يمطروا حتى أنه بلغ

من أمرهم أن بعضهم أكل بعضاً فلما بلغ منهم ما أراد الله عز وجل من ذلك قالت امرأة لأخرى ولهما ولدان: يا فلانة تعالي حتى نأكل أنا وأنت اليوم ولدي وإذا كان غدا أكلنا ولدك، قالت لها: نعم، فأكلتاه فلما أن جاعتا من بعد راودت الأخرى على أكل ولدها فامتنعت عليها فقالت لها: بيني وبينك نبي الله فاختصما إلى دانيال عليه السلام فقال لهما: وقد بلغ الأمر إلى ما أرى؟ قالت له: نعم يا نبي الله وأشد قال: فرفع يده إلى السماء فقال: اللهم عد علينا بفضلك وفضل رحمتك ولا تعاقب الأطفال ومن فيه خير بذنب صاحب المعبر وأضرابه لنعمتك، قال: فأمر الله عز وجل السماء أن أمطري على الأرض وأمر الأرض أن انبتي خلقي ما قد فاتهم من خيرك فإني قد رحمتهم بالطفل الصغير^(١).

(١) الكافي: ج ٦، ص ٢٠٣.

أهل الثرثار والإسراف

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن عمرو بن شمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إني لأحس أصابعي من الأدم حتى أخاف أن يراني خادمي فيرى أن ذلك من التجشع وليس ذلك كذلك إن قوماً أفرغت عليهم النعمة وهم أهل الثرثار فعمدوا إلى مخ الحنطة فجعلوها خبزاً هجاء وجعلوا ينجون به صبيانهم حتى اجتمع من ذلك جبل عظيم، قال: فمر بهم رجل صالح وإذا امرأة وهي تفعل ذلك بصبي لها، فقال لهم: ويحكم اتقوا الله عز وجل ولا تغيروا ما بكم من نعمة فقالت له: كأنك تخوفنا بالجوع أما ما دام ثرثارنا تجري فإننا لا نخاف الجوع قال: فأسف الله عز وجل فأضعف لهم الثرثار وحبس عنهم قطر السماء ونبات الأرض قال: فاحتاجوا إلى ذلك الجبل وإنه كان يقسم بينهم بالميزان^١.

(١) الكافي: ج ٦، ص ١٠٣.

الإسرافات

وفق فتاوى سماحة آية الله العظمى

السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه الوارف)

السؤال: ما هو تعريفكم للإسراف؟

الجواب: يقصد به صرف المال زيادة على ما ينبغي والإسراف

حرام.

السؤال: ما هو توضيحكم للإسراف والتبذير؟

الجواب: الإسراف والتبذير: سلوكان ذمهما الله سبحانه وتعالى،

فقال عزّ من قائل: ﴿وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُسْرِفِينَ﴾^(١)، وقال جلّ وعلا في ذمّ المبذرين: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ

كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^(٢).

وقد كتب الإمام علي عليه السلام كتاباً لزيادة في ذم الإسراف جاء

فيه قوله عليه السلام: (فدع الإسراف مقتصدًا، واذكر في اليوم

غداً، وامسك عن المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم

(١) سورة الأعراف: آية ٣١.

(٢) سورة الإسراء: آية ٧٢.

حاجتك، أترجوا أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين، وتطمع، وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة، أن يوجب لك ثواب المتصدقين؟ وإنما المرء مجزي بما أسلف وقادم على ما قدم^(١).

السؤال: اذكروا لنا بعض ما ورد في الإسراف والتبذير؟

الجواب: قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^(٤). وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (إن الله إذا أراد بعبد خيراً، ألهمه الإقتصاد، وحسن التدبير وجنبه سوء التدبير، والإسراف)^(٥). وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (أترى الله أعطى من أعطى من كرامته عليه، ومنع من منع من هوان به عليه،

(١) نهج البلاغة: ص ٧٧٣.

(٢) سورة الأعراف: آية ٣١.

(٣) سورة غافر: آية ٣٤.

(٤) سورة الإسراء: آية ٧٢.

(٥) مستدرک الوسائل: ج ٥١، ص ٦٦٢.

كلاً، ولكن المال مال الله يضعه عند الرجل ودائع وجوز لهم أن يأكلوا قصداً ويشربوا قصداً، ويلبسوا قصداً، وينكحوا قصداً، ويركبوا قصداً، ويعودوا بما سوى ذلك على فقراء المؤمنين ويرموا به شعثهم، فمن فعل ذلك كان ما يأكل حلالاً، ويشرب حلالاً، ويركب حلالاً، وينكح حلالاً، ومن عدا ذلك كان عليه حراماً، ثم قال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١).

وعنه عليه السلام: (إن القصد أمرٌ يحببه الله عزّ وجلّ وإن السرف أمرٌ يبغضه الله حتى طرحك النواة فإنها تصلح للشيء وحتى صبك فضل شرابك) (٢).

السؤال: الأرز والخبز وغير ذلك من الأطعمة التي تبقى عادة من بعد تناول الطعام ما حكم رميها في القمامة؟
الجواب: يشكل جواز ذلك لأنه يعتبر عند المتشرعة إهانة لنعم الله تعالى واستحقاراً لها وهو ينافي شكره تعالى مضافاً إلى ما فيه من الإسراف وإتلاف المال إذا كان بحيث يمكن الاستفادة

(١) وسائل الشيعة: ج ١١، ص ٥٥٥.

(٢) الكافي: ج ٤، ص ٢٥.

منه ولو بمثل إطعامه للطيور والبهائم والإسراف محرّم.

السؤال: أسعار الدخان مرتفعة في الدول الغربية، فهل يحرم شراؤها من باب الإسراف والتبذير إذا علم صاحبها أنها ليست نافعة؟ بل ضارة؟

الجواب: يجوز شراؤها، ولا يحرم استعمالها لمجرد ما ذكر، نعم إذا كان التدخين يلحق ضرراً بليغاً بالمدخن، ولم يكن في تركه ضرر عليه، أو كان أقل ضرراً، لزمه التجنب عنه.

السؤال: ما حكم شرائي ساعات غالية الثمن لي أو لزوجتي أو حقائب غالية الثمن هل هو مكروه أم إسراف؟

الجواب: إذا كان يعدّ من شأنكما لا يعدّ إسرافاً.

أسئلة كُتِبَ الإسراف

س ١- ورد في الخبر أن لل..... ثلاث علامات : يأكل ما ليس له، ويلبس ما ليس له، ويشترى ما ليس له.

أ- المبذر ب- المسرف ج- الأول والثاني

س ٢- قال الإمام الصادق (ع): (حَلَّوْا أَنْفُسَكُمْ بِالْعَفَافِ، وَتَجَنَّبُوا

أ- التبذير والإسراف ب- إغراض الناس

ج- لا الأول ولا الثاني

س ٣- ورد في الخبر سبب الفقر

أ- التبذير ب- الإسراف ج- الأول والثاني

س ٤- من الأمور التي تؤثر في تحقق الإسراف

أ- الحالة الاجتماعية للشخص ب- الزمان والمكان

ج- الأول والثاني

س ٥- ورد عن أمير المؤمنين ٨ أنه قال: (لا يذوق المرء من

..... حتى يكون فيه ثلاث خصال: الفقه في الدين، والصبر

على المصائب وحسن التدبير في المعاش).

أ- من حقيقة الإيمان ب- حلاوة الإيمان

ج- لا الأول ولا الثاني

س٦- الإسراف

أ- يختص بالأموال ب- يشمل الأموال والأعمال

ج- يعم جميع أعمال وعقائد الإنسان

س٧- من أسباب الإسراف

أ- تقليد الآخرين ب- التهاون مع النفس

ج- الأول والثاني

س٨- من آثار الإسراف

أ- الحرمان من محبة الله تعالى ب- عدم الاهتمام بالآخرين

ج- الأول والثاني

س٩- من الأمور التي تساعد على القضاء على الإسراف

أ- دوام النظر في الآيات والروايات الناهية عنه

ب- دوام التفكير في الواقع ج- الأول والثاني

س١٠- ورد في الخبر (إن مع الإسراف قلة...)

أ- البركة ب- الدين ج- المال

س١١- ورد في الخبر (ليس فيما يصلح البدن.....)

أ- بأس ب- تبذير ج- إسراف

س ١٢ - من أسباب الإسراف

أ- الغفلة عن شدائد القيامة وعن الآثار المترتبة

ب- التربية الخاطئة والجهل

ج- الأول والثاني

س ١٣ - من آثار الإسراف

أ- عدم تحمل صعوبة الحياة

ب- علة البدن وخمول الفكر

ج- الأول والثاني

س ١٤ - ما حكم رمي باقي الأرز والخبز ذلك من الأطعمة

التي تبقى عادة من بعد تناول الوجبة ما حكم رميها في

القيامة؟

أ- يشكل جواز ذلك ب- يجوز ذلك ج- مكروه

س ١٥ - قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: (أربعة لا يستجاب لهم،

أحدهم كان له مال فأفسده فيقول: يا رب ارزقني فيقول الله

عز وجل: ألم).

أ- ألم أمرك بالتدبير

ب- ألم أمرك بالاقتصاد

ج- ألم أنك عن الإسراف

الفهرس

٥	مقدمة أسبوع التوبة للسنة الثانية:
٩	مقدمة أسبوع التوبة للسنة الأولى:
١٣	الإسراف
١٣	معنى الإسراف وأنواعه
١٤	الإسراف في القرآن
١٦	الإسراف في الروايات
٢١	الإسراف يختلف باختلاف الموارد
٢٨	الإسراف حرام دائماً
٣٥	الإسراف في العقائد والأعمال
٣٨	أسباب الإسراف
٤٤	آثار الإسراف
٤٨	الطريق لعلاج الإسراف
٥١	قصص عن الإسراف
٥١	وصية الملك لابنه:
٥٣	قوم النبي دانيال <small>عليه السلام</small> :
٥٥	أهل الثرثار والإسراف
٥٧	الاستفتاءات
٦١	أسئلة كتيب الإسراف